المحاضرة رقم 01: النشاط السياسي مع مطلع القرن العشرين.

1 – بوادر العمل السياسي في الجزائر:

لا يمكن ربط النضال السياسي في الجزائر بظهور الأحزاب والجمعيات السياسية بعد الحرب العالمية الأولى بل إن نشاط الجزائريين السياسي يعود إلى بدايات الاحتلال الفرنسي إثر المعارضة التي قدمها حضر مدينة الجزائر ضد الممارسات والسياسة القمعية التي طبقتها فرنسا في الجزائر خاصة بعد اكتشافهم النوايا الحقيقية للفرنسيين والتي تم على إثرها سجنهم ثم نفيهم إلى فرنسا ، وقد تزعم هذا التيار كل من حمدان بن عثمان خوجة و أحمد بوضربة، و التي قامت بعدة اتصالات في الجزائر وفرنسا لصالح عودة الحكم الإسلامي ومحاولة جعل الفرنسيين يتخلون عن الحكم للمسلمين الجزائريين.

وقد نشرت فئة الحضر عدة عرائض تندد بانتهاكات الفرنسيين كما طالبت بلجنة تحقيق في ممارسات العسكريين الفرنسيين في الجزائر، وهو ما كان لها ذلك وسميت هذه اللجنة باللجنة الإفريقية لكن نتائجها كانت عكس طموحات حضر مدينة الجزائر حيث طالبت بالإبقاء على الجزائر لصالح فرنسا، كما نشر حمدان خوجة كتاب سماه المرآة فضح فيه ممارسات السلطات الفرنسية في الجزائر وقد انتهى نشاط هذه اللجنة بنفي زعيمها حمدان خوجة إلى اسطنبول ليفسح المجال أكثر للعمل العسكري في شكل مقاومات شعبية..

كما استمر نشاط الجزائريين من خلال القيام بإنشاء الجمعيات و النوادي الثقافية و التي تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر ، وكانت في البداية عن جمعيات مختلطة" فرنسية– أهلية" وقد ارتبط ظهورها بالأوضاع التي كانت سائدة في تلك الفترة في الجزائر و الذي مهد لظهور إيديولوجية ثقافية جديدة، وكان من بين أهم هذه الجمعيات والنوادي نجد جمعية الرشيدية التي تعتبر أول جمعية حقيقية أسست سنة 1902م وهي جمعية ودادية لقدماء تلاميذ المدارس العربية الفرنسية لمدينة الجزائر، كذلك جمعية التوفيقية التي تأسست سنة 1908 وترأسها ابن تهامي، والجمعية الأخوية تأسست في معسكر و الجمعية الإسلامية في قسنطينة والهلال والصادقية ونادي الترقي في عنابة وغيرها.

وقد كان لهذه النوادي والجمعيات دور في ظهور الأحزاب السياسية وساهمت في ظهور الصحافة العربية منها خاصة فقد كانت هي الأرضية التي بنت فوقها فكرة إنشاء صحافة عربية جزائرية منها المصباح، الإسلام، الجزائر والتقدم، وهذه الصحف كان لها دور في بث روح النهضة والتعريف بالأفكار الجديدة بتنظيم المحاضرات من أجل مناقشة المواضيع التي كانت تدور في تلك الفترة ، وقد ساهم هذا النشاط السياسي مع مطلع القرن العشرين لظهور فئتين الأولى أطلق عليها اسم "كتلة المحافظين" والثانية لقبت "فئة الشبان".

2 – نشاط كتلة المحافظين:

عملت هذه الفئة بشكل منفصل بحيث لم يكن لها حزب سياسي أطلق عليها البعض اسم "كتلة المحافظين" وسميت أيضا بـ "أصحاب العمائم"، وقد ضمت هذه الفئة كل الطبقات الاجتماعية التي حاولت المحافظة على الشخصية الجزائرية من المثقفين التقليديين وزعماء الدين والمحاربين القدماء وبعض الإقطاعيين والمرابطين أو ممثلين نيابيين، ويعتبر معظم أعضاءها مصلحين مؤمنين بفكر الجامعة الإسلامية ولاشطين صحفيين، ورغم أنهم لم يشكلوا حزبا سياسيا إلا أن أنهم كانوا متقاربين في نفس الأفكار، يعني معارضين لكل المبادئ التي تحاول سلخ المجتمع الجزائر من قيمه الاجتماعية والدينية، فنجدهم معارضين للتجنس والخدمة العسكرية للتغيير على الطريقة الغربية ويمكن حصر مطالبهم في عدة نقاط وهي:

- المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والمعمرين.
- المساواة في الضرائب والفوائد من الميزانية.
- الدعوة إلى الجامعة الإسلامية.
- معارضة التجنيس والتجنيد العسكري الإجباري.
- إلغاء قانون الأهالي وكل الإجراءات التعسفية الأخرى.
- استرجاع العمل بنظام القضاء الإسلامي.
- احترام والعادات والتقاليد الجزائرية.
- نشر وإصلاح وسائل التعليم باللغة العربية.

- عدم استعمال العنف.

- حرية الهجرة خاصة نحو المشرق.

3 – نشاط النخبة " فئة الشبان" :

شكل الشبان الجزائريون نخبة جديدة داعية للتغيير ورافضة للوضع القائم لها رؤية معينة لقضايا شعبها، وقد أطلق البعض على هذه الحركة بالجزائر الفتاة التي أرادت التخلص من الحكم الفرنسي بطرق جديدة اقتنعت بأن اللجوء إلى الثورات الغير المنظمة بلا فائدة، بحكم قواتها العسكرية وتعاون المعمرين فيمكنها تحطيم أي ثورة تستخدم نفس الطرق القديمة، وقد لاحظ الكثير من الكتاب الفرنسيين أعراض ميلاد الجزائر الفتاة وذلك تقريبا سنة 1892م وهو تاريخ الذي زار فيه جول فيري الجزائر الذي يعتبر أول من أطلق تسمية "الشبان الجزائريون" على هذه المجموعة، ونستشف ذلك أيضا في تقرير إلى الحكومة الفرنسية سنة 1899م فقد لاحظ الجنرال "لارشي" أن الجزائريين مستعدين بشكل واضح للنشاط السياسي، تكونت فئة الشبان من: المفكرين، الكتاب، الأطباء، المهندسين، رجال القانون، الموظفين، الصحفيين، لم يكن السن هو العامل المحدد لهذه الفئة بقدر ما كان نمط الثقافة المكتسبة لذلك لم يجمع بينهم السن بقدر ما جمع بينهم الفكر والهدف والوسائل المشتركة.

تعددت التعاريف حول فئة الشبان فقد عرفهم أحد أبناء جيلهم وهو : "إنها ثريات الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية، و الذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين".

ولجأت الجزائر الفتاة إلى النشاطات الاجتماعية والثقافية، وإلى تأسيس الجمعيات والنوادي لتؤدي وظيفة المدرسة وملتقى اجتماعي للرياضة والإسعاف والكشافة ومقر للنشاط السياسي نذكر منها: الجمعية التوفيقية، ودادية العلوم الجديدة، نادي التقدم، جمعية الهلال، والجمعية الرشيدية، بدأت هذه النخبة تتصل بالمسؤولين الفرنسيين وتنقل إليهم انشغالات الجزائريين وتقترح عليهم الحلول، تزعم حركة الشبان مجموعة من الشخصيات الوطنية التي كانت تشتغل في ميادين الترجمة والتعليم والتجارة والسياسة والطب من أمثال ابن التهامي، الشريف بن حبيلس، كما قام قادة حركة الشبان بنشاط هائل في الميدان الثقافي في المدن الكبرى

بسبب إتقانهم للغة الفرنسية واختلاطهم بالمفكرين الفرنسيين ويدافعون عن مبادئ تتمثل في الرقي والتقدم، اقترحت هذه الفئة الإدماج مع فرنسا فطالبوا بالمساواة في الحقوق مع الفرنسيين وإلغاء قانون الأهالي والقوانين الاستثنائية والتمثيل النيابي والمساواة في التعليم والضرائب وفرص العمل يعني التجنيس الكامل والاندماج، وقد اشترطوا شرطا واحدا ألا وهو عدم التخلي عن الأحوال الشخصية الذي نص عليه قانون 1865، طالبوا أيضا بنشر التعليم والثقافة الفرنسية وإصلاح المدارس الجزائرية الفرنسية.

وقد كان لهذه الحركة مجموعة من العرائض التي كانت تعبر عن مطالبهم التي تمثلت خاصة في عريضة عام 1912 التي ضمت ما يلي :

- الإلغاء التام لقانون التجنيد الإجباري وتعويضه بقانون آخر يكون مبني على فكرة الحرية و العدالة و المساواة.
- إلغاء القوانين الاستثنائية كقانون الأهالي و المحاكم الردعية.
- الاعتراف بمبدأ المساواة في جميع المستويات.
- تمثيل الجزائريين في كامل المجالس البلدية و المجلس الوطني الفرنسي.
- إنهاء الإجراءات الاضطهادية والقوانين الاستثنائية.
- تمثيل نيابي جاد وكاف للجزائريين في كل المجالس بالجزائر وفرنسا
- توزيع عادل للضرائب.
- توزيع متساو لمصادر الميزانية بين الجزائريين والمستوطنين.

كما طالبت بتنقيح قانون التجنيد الإجباري وذلك بمعالجة بعض النقاط منها:

- تخفيض فترة الخدمة العسكرية للجزائريين من ثلاث سنوات إلى سنتين على قدم المساواة مع الفرنسيين
- تبديل سن التجنيد من 18 إلى 21 مساواة بالفرنسيين أيضا.
- إلغاء مكافأة التجنيد التي تمس بشرف الأسرة الجزائرية.

وقد شكل اندلا ع الحرب العالمية الأولى تراجع العمل السياسي في الجزائر نتيجة الحصار الفرنسي ورفض فرنسا مطالب كل من جماعة الشبان وكتلة المحافظين ورفض أي إصلاح سياسي ليتجدد النضال السياسي بعد الحرب العالمية الأولى بعد أن احتك الكثير من الجزائريين المشاركين في الحرب وتتبلور الكثير من الأفكار، لتعود الحركة الوطنية أكثر تنظيما وتطورا في شكل أحزاب وتبدأ برفع سقف مطالبها تدريجيا.

قائمة المصادر والمراجع:

1 - أبو القاسم سعد الله: خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر 1830- 1962ن ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 2007.

2 - أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

3 - أحمد صاري: شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، 2004.

4 -

5- Claude Collot , jean robert Henry: le mouvement national algérien , textes 1912_1954 , o.p.u ,Hydra ,Alger ,p 24.